

الله فعال لما يريد عن علم تام وفق حكمة تامة

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا مجيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلواه ولو عصهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلاق وأفعالهم، يهدي من يشاء بحكمته، قال الله تعالى: { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرَهُ تَقْدِيرًا } وقال تعالى: { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ حَلَّهُمَا بِقَدْرٍ } وقال تعالى: { إِنَّمَا أَصَابَتْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَبَرَّأُهَا } وقال تعالى: { فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيْهُ يَسْرُّعُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُعْجِلَ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا } . وروى ابن عمر { أَنْ جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ أَمْتَنَ بالقدر خيره وشره وحلوه ومره . ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه الحسن بن علي يدعوه في قنوت الوتر: { وَقَنِي شَرُّ مَا قُضِيَتْ } . ولا يجعل قضاء الله وقدره حجة لتأني في ترك أوامرها واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: { لَلَّهُمَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } . ونعلم أن لله سبحانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطبع بالفعل والترك، وأنه لم يجر أحداً على معصية ولا اصططره إلى ترك طاعة. قال الله تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا وُسْعَهَا } وقال الله تعالى: { قَاتَّقُوا اللَّهُ مَا اسْتَطَعُتُمْ } . و قال تعالى: { إِنَّمَا تُؤْمِنُ بِمَا كَسَبْتُ لَا طُلُمُ الْيَوْمِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } فدل على حسنة بالثواب وكسباً يجزى على حسنة بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره. السلام عليكم ورحمة الله. بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. جعل العلماء كل ما يتعلق بالأمور الغبية من العقيدة، أدخلوه في عقائدهم؛ وأركان الإيمان أحدها: من الحديث النبوى الذى أشير إليه أن أركان الإيمان ستة: { أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكَبِيرِهِ وَشَرِهِ وَرَسُولِهِ وَرَسُولِهِ وَمَدِيرِهِ وَمُتَصْرِفِهِ } هذه أركان الإيمان: يعني العقيدة. فتقدما ما يدل على الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، ولا شك أنه هو الركن الأساس؛ الإيمان بالله تعالى إليها وربها وخالقاً ومدبراً ومتصرواً. الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان ثم الإيمان بكل أسماء الله تعالى، فالإيمان بالقدر جعل ركناً من أركان الإيمان مع أنه داخل في الإيمان بأسماء الله أو الإيمان بصفات الله؛ وذلك لأنه سبحانه هو الذي قدر الأشياء، وهو الذي يخلقها وكونها، وهو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وهو الذي علم ما الخلوق عاملون بعلمه القديم الذي حكمه.. موضوع به أولاً: فجاءت لذلك صار هذا الإيمان بالقدر متفرعاً وجزءاً من الإيمان بالله تعالى وبأسماء الله وبصفاته. فالإيمان بأن الله تعالى موصوف بصفات الكمال ومن صفاته القدرة ومن صفاته القدرة ولأنه سبحانه قادر على كل شيء؛ فالقدير هو الذي لا يعجزه شيء، الذي هو على كل شيء قادر، والقدرة هي صفة من صفاته؛ فإذا عجز عن كل شيء، فيدعى من اسمه القدير، يا ربنا القدير، يا من هو على كل شيء قادر. كذلك "الفعال لما يريد" من كمال قدرته أنه فعل لما يريد، قال الله تعالى: { فَعَالَ لِمَاءٍ يُرِيدُ } كل ما أراده فإنه سبحانه يفعله، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه. كذلك تعرف أيضاً أنه سبحانه كل ما قضاه وقدره، وكل ما أمر به فإنه في غاية الحكمة وفي غاية المناسبة وعین الصلاح، ولا يقدر شيئاً إلا وفيه المصلحة العظيمة، وفيه من الحكمة الكبيرة. كل ما أمر به فإنه في غاية الحكمة وفي غاية المناسبة، من خير أو شر. "فعال لما يريد" ذكر أن أبا يكر رضي الله عنه لما مرض، قالوا له: ألا نأتيك بالطبيب، قال: قد رأى، قالوا: ماذا قال؟ قال: هو الذي يقول: { فَعَالَ لِمَاءٍ يُرِيدُ } يريد أو يقصد ربه سبحانه وتعالى وفي رواية: "قال: الطبيب أمرضني، أي هو الذي أنزل هذا المرض، وهو الذي يكشفه إذا شاء، وهو الذي يفعل لما يريد. ومن أثار ذلك أنه لا يكون شيء إلا بإرادته، كل ما في الوجود فإنه بإرادته، لا يحدث شيء إلا بعد أن يريد، كونا وقرا، يقول: إن كل ما حدث فإنه مراد لله تعالى الإرادة الكونية القدريه... وهي أنه سبحانه قدر الأشياء قبل وجودها، علم ما الخلوق عاملون بعلمه القديم، ثم قدر ذلك. فأولاً: نؤمن بعلم الله تعالى بالأشياء؛ الأشياء المستقبلة، لا تخفي على الله بل يعلم بها قبل أن توجد، فيعلم من سوف يموت في السنة القادمة، وفي الأيام المستقبلة، ويعلم من سيمرض، ويعلم ما يصير فيها من قحط أو جدب أو خصب أو نعم أو خيرات، قدرها وعلمه؛ وذلك لأنه سبحانه علم عدد ما يكون من المخلوقات، وعلم عدد ما سوف يحدث من الكائنات، فلا يكون في الوجود إلا ما يريد. ورد في الحديث، قال النبي صلى الله عليه وسلم: { أَوْلَى مَا خلقَ اللَّهُ الْقَلْمَ } . اكتب قال: ما أكتب قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيمة } لما خلق الله القلم أمره فكتب، كتب كل شيء يحدث صغير أو كبير، موت وحياة وجراء ونشر، وبعد وفوت، وغنى وفقر، كل ذلك قدره وقضاه قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما ورد ذلك في حديث: أنه سبحانه كتب كل ما هو كائن من أول الدنيا إلى آخرها قبل أن يوجد الخلق. ولا يكون شيء ولا يحدث إلا بإرادته" فعال لما يريد ولا يخرج شيء عن مشيئته، قال في الحديث: { مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ } فيما شاء الله تعالى فإنه سوف يكون، وما لم يشاً لم يكن. وفي حديث ابن عباس قول النبي صلى الله عليه وسلم: { وَاعْلَمَ أَنَّ الْأَمَةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكُمْ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكُمْ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يغيروا ما قدره الله، ولا أن يمحوا ما كتبه الله. فليس في العالم شيء يخرج عن تضليلك لهم، العالم: الخلق كلهم". ليس في العالم شيء يخرج عن تقديره يعني أن ما قدره عليه، يعني قدر على هذا الإنسان الغنى وقدر على هذا الفقر، ولا يستطيع أن يغير قدر الله، قدر على هذا الصحة، وعلى هذا المرض، ولا يستطيع أن غير قدر الله. وقدر على هذا العلم وعلى هذا الجهل ولا يستطيع أن يغير قدر الله. "ليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تقديره" تقديره يعني فعله { يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ } يدير الأمور يعني: يعني هذا ويفقر هذا، يعطي ويمعن، يصل ويقطع، يخصن ويبرع، يميت ويحيى، يريش وييري. " ولا مجيد لأحد عن القدر المقدور " أي لا مفر ولا ملحاً ولا مخرج ولا ملتجى عن ما قدره الله من القدر المقدور، أي الأمر المقدور. لا مجيد لأحد عن القدر المقدور ولا يتجاوز أحد ما خط في اللوح المسطور اللوح الذي هو أم الكتاب، في قوله الله تعالى: { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ } أي اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شيء، لما خلق الله القلم خلق اللوح فكتب فيه كل شيء وهو أم الكتاب "اللوح المحفوظ اللوح المستور". فلا يتجاوز أحد ما خط وكتب عليه في اللوح المستور؛ يدخل في ذلك أفعال العباد. "أراد ما العالم فاعلواه" كل شيء يفعله العالم فهو داخل في إرادة الله تعالى، ولكنها الإرادة الكونية القدرة التي يدخل فيها كل ما يحدث في الوجود، كل ما يحدث في هذا الوجود فإنه مراد لله تعالى إرادة كونية قدرية أزلية قديمة؛ هذا يعني "أراد ما العالم فاعلواه، ولو عصهم لما خالفوه" لو شاء لعصهم، ولو شاء لما خرجوا عن طوابعه. ولو شاء عصهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، قال الله تعالى: { إِنْ تَشَاءْ تُنْزَلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ أَيَّهَا قَطَّلَتْ أَغْنَافَهُمْ لَهَا حَاضِرِينَ } لو شاء لأنزل أية فخضعوا لها، ووافقوه وذلوا واستسلموا ولم يعاصوا، ولكنه سبحانه أراد ما أراده من هذا التقدير، ومن هذا الجزاء. ولا يكون في الوجود إلا ما يريد هكذا أخبر الله تعالى أنه قدر ما شاء وما أراده، فلا يكون في الوجود إلا ما يريد. "لو عصهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه" قال الله تعالى: { أَفَرَأَيْتَ مِنْ أَنْ تَحْدِدَ أَلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَحَتَّمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَحَجَّلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَّاهَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ يَنْعَدُ } من الذي يستطيع؟ الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، قال الله تعالى: { وَمَنْ يُضْلِلَ اللَّهُ فَمَا لَهُ } من هاد { وَمَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَمَا لَهُ } من مصل { من حكم الله تعالى عليه بأنه بعيد وطريقه وشقى فلا حلية فيه. وإذا حكم الله على إنسان أنه سعيد، وأنه تقى فإنه يقل بقلبه وبهديه وبوفقه. الله تعالى لو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن. "الخلق الخلاق وأفعالهم" قال الله تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } أي أفعالهم خلق الله تعالى. "الخلق الخلاق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وأجالهم" في الحديث: { أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بَأْنَ النَّطْفَةِ إِذَا اسْتَقْرَتْ فِي الرَّحْمَةِ يَرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهَا الْمُلْكَ، وَيَكْتُبُ مَا يَكُونُ } في حديث ابن مسعود قوله صلى الله عليه وسلم: { إِنَّمَا يَجْمِعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أَمَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَطْفَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمُلْكَ فَيُؤْمِرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجْلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَفَقَيْهِ أَوْ سَعِيدٍ } . يكتب ذلك كله وهو في بطن أمه، يكتب رزقه الغنى والفقير، وأجله العمر قصيراً أو طويلاً، وسعادته وشقاوته وأعماله، يكتب كل ذلك وهو في الرحم، ولا يزاد ولا يتغير ما يكتبه. لو عصهم لما خالفوه خلق الخلاق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وأجالهم يهدي من يشاء برحمته من هداه الله تعالى فهو فضل منه ورحمة. "ويصل من يشاء بحكمته" من أصله الله، وحرمه وصرفه عن الهوى، فهو لحكمة علمه فيه، يعلم أن هذا أهل للهداية فيقبل بقلبه وبوفقه وبهديه ويسده، ولذلك أسياب. ويعلم أن هذا شقي طريد بعيد، ليس أهلاً أن يهدي فيطرده ويحكم بإبعاده وطرده وعدم إقباله وعدم اهتدائه، يعلم من هو أهل للهداية ومن هو أهل للشقاوة.